قال الله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾

🔶 من معاني الآية: أن الوسائل لها أحكام المقاصد، فإذا كان مقصد الإنسان من سخط الله؛ كانت وسيلته محرمة وممنوعة بسبب غايته وهدفه ومقصده.

🔷 ومن معاني الآية -كما في السنة والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن-: قول النبي ﷺ ما معناه: «ثلاثة هم أول من تسعر بهم النار» أي: قبل عبدة الأوثان ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾:

«رجل تعلم العلم ليقال له: عالم» قال الله تعالى له: «فقد قيل»، وتفقه ليقال: فقيه، قال الله تعالى له: «فقد قيل» نسأل الله العافية[1]. ومن المعلوم أن العلم الشرعي موجب للخشية وهو ميراث النبي ﷺ، ولكن مريض القلب مقصده باطل يخفي ذلك بالتصنع والتشدق.

🔶 ومن معاني الآية: أن مريض القلب ضعيف وإن تصنع في الكلام وتظاهر بالقوة، فهو يُخْفي حقيقته الشريرة[2] وسَريرته الخفية بالتصنع والتكلف؛ ليخفي معاناته النفسية وحقيقته الداخلية. قال الطبري -رحمه الله- في تفسير الآيه: فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه.

---

(1) كما في الحديث المشهور؛ إذ ذكر ﷺ المقاتل الذي قاتل ليقال عنه: جريء وشجاع، والقارئ الذي قرأ القرآن ليقال عنه: عالم وفقيه، والمنفق الذي أنفق ماله ليقال عنه: جواد وكريم.

قلت: ليس بعيدًا عن رجل تملكه حب المال حتى ملأ شغاف قلبه أن يتصدق رياءً، أو آخر تملك قلبه الطغيان وحب الظهور أن يجاهد ليقال عنه: جريء وشجاع، ولكن كم منا من يستبعد أن يشتغل الرجل عمره بكلام الله حفظًا وقراءةً وتفقهًا وبيانًا، ولم ينفذ ذلك كله إلى قلبه ويطهره من هذا المرض إلى أن مات؟! وكأن على قلوب أقفالها؛ كحال أهل الكتاب ممن يسمعون كلام الله ولا ينتفعون به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سلمنا الله وإياكم من أمراض القلوب صغيرها وكبيرها.

(2) الشَّرُّ لغة : السوءُ والفسادُ ،والجمع : شُرُورٌ، ويقال: رجُلٌ شَرٌّ : ذو شرٍّ ، والجمع : أشرار، وشِرَارٌ ، كما في الآية ﴿نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴾ ومن حيث اللغة " الشريرة" كثيرة الشرّ مُولَعة به.

🔷ومريض القلب -كما في الآية- هو صاحب شك، وسوء ظن عظيم، وشعور مُتأصل بالنقص؛ بسبب ضعف إيمانه بقدر الله عليه، فيتغلغل الشك وسوء الظن في قلبه ويترسخ، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾،

قال السعدي: وذلك لجبنهم وفزعهم وضعف قلوبهم، والريب -الشك- الذي في قلوبهم؛ يخافون أن يطلع عليهم. وقال الطبري: يحسب هؤلاء المنافقون من خُبثهمْ وسوء ظنهم، وقلة يقينهم كلّ صيحة عليهم، لأنهم على وجل. قلت: مريض القلب صاحب سوء ظن، فينظر إلى أدنى شيء بأنه هو المقصود والمعني والمستهدف.

🔶فطهر القلب مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، قال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: الإنسان مسئول عن سمعه وعن بصره وعن فؤاده، عن قلبه وعقله، هل استعمله في طاعة الله؟.

🔷قال رسول الله ﷺ: «المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم».

وقيل لرسول الله ﷺ: أي النَّاس أفضل؟ قال: «كلُّ مَخْموم القلب، صدوق اللِّسان»، قالوا: صدوق اللِّسان نعرفه، فما مَخْموم القلب؟ قال: «هو النَّقيُّ التَّقيُّ، لا إثم عليه ولا بَغْي ولا غلَّ ولا حسد».

🔶قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.
قال التابعي مجاهد -رحمه الله-: ليس فيه شكّ في الحقّ.
وقال التابعي الضحاك -رحمه الله-: هو الخالص.

كتبه: الشيخ محمد عثمان العنجري
الخميس 1 صفر 1445هـ
الموافق 2023/8/17م